كونراد الثالث وبداية الحقبة الهوهنشتاوفنية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة

أ.د زبيدة محمد عطا

أ.د فاطمة عبد اللطيف الشناوى

سماح أنور فرج

أثناء عودة الإمبراطور لوثر الثالث إلى ألمانيا بعد نجاح حملته الإيطالية، اشتد عليه المرض فى الطريق وتوفى فى ٣ديسمبر ١١٣٧م، وتم دفنه فى أحد الأديرة المقامة فى ساكسونيا. (١)

كان طيله عهدالإمبراطور لوثر، يتصرف دائماً بما لا يزيد عن كونه زعيماً لجماعة نبلاء أكثر منه إمبراطوراً على ألمانيا، ولما واجه عداء أصحاب الحق الشرعيين الهوهنشتاوفن طيله حكمه، ولكنه دعم نفسه بإقامة حزب قوى إلى جواره، دون أن يدخل فى اعتباره أنه حاكم لمملكة، فوزع الأراضى الملكية لجذب الأنصار وارتمى فى أحضان الكنيسة، وابتاع رضاها بما قدمه من تنازلات باهظة، وخسرت الملكية الألمانية كل ما كانت قد حققته زمن هنرى الخامس. بمقتضى اتفاقية وورمز عام ١١٢٢م، ولكن الخسارة الكبرى تمثلت فى تنازله للكنيسة عن أملاك الكونتيسة ماتيلدا، وقبوله بإدعاءات البابوية عليها، وتلقاها من أنوسنت الثانى إقطاعاً بابوياً فى مقابل حصوله على التاج الأمبراطورى سنه ١١٣٠م (٢) وعلى أيه حال فقد أصبحت ألمانيا بعد موت الأمبراطور لوثر على أعتاب حقبه جديدة نظراً لأن لوثر لم يترك وريثاً على العرش، وبالتالى فإنه يبرز تساؤل هام.

هل سيسمح الأمراء الألمان بتولى هنرى المتكبر زوج ابنه لوثر حكم المانيا أم يكون لهم موقف مشابه للموقف الذى اتخذْ عند موت الإمبراطور هنرى الخامس ؟ وحول هذا التساؤل نجد أن الأحداث التالية ستوضح لنا موقف الأمراء الألمان فيمن سيتم انتخابه للجلوس على العرش الألمانى .

كانت الانتخابات التى تلت وفاة الإمبراطور لوثر الثالث ١١٣٧/١١٢٥م بنفس أهمية الانتخابات التى رفعته إلى العرش، مرة أخرى لم يكن للملك ابن لخلافته لكن عُين وريثاً له مرة أخرى، وهذا ما رفضه الأمراء الألمان. (٣)

فقد أصبح من الواضح أنه سيتم انتخاب هنرى المتكبر زوج ابنه لوثر والذى يعد من أقوى المرشحين للعرش بامتلاكه بافاريا ودوقيه ساكسونيا والتى أعطاها له لوثر مؤخراً فى المانيا وامتلاكه أيضاً توسكانيا فى إيطاليا، إلى جانب امتلاكه ممتلكات ساحقة من والدته، بالإضافة إلى الإقطاعية التى أخذها من البابا وهى أراضى الكونتسية ماتيلدا، وتلقيه الشارات الملكية من لوثر الذى بعث بها إليه عندما حضرته الوفاة، كما أنه عن طريق زوجة جرترود Gertrude ورث ضياع لوثر الخاصة، التى تشمل أملاك أكبرعائلتين فى ساكسونيا قديماً، كما كان لشقيقة ولف Welf (٤) الأراضى فى سوابيا وشمال إيطاليا. (٥)

وبكل هذة الممتلكات التى لدى هنرى كان من الممكن فى ظل هذه الظروف ان يقيم حكومة ألمانية مستقرة، لكن شيئاً من هذا لم يحدث، لأن قيام ملكية ألمانية قوية لم يكن من مصلحة أى من النبلاء أو الكنيسة فكانت شخصية هنرى جعلت الأمراء والأكليروس ترفض الأقدام على اختياره ملكًا، بسبب تكبره وقوته(٦).

وفى ٧ مارس ١١٣٨م اجتمع الأمراء الألمان فى مدينة كوبلنز Coblenz وكان إجتماعهم هذا بهدف انتخاب حاكماً جديداً وتم اختيار كونراد الأخ الشقيق للدوق فريدريك وسرعان ما تم تتويجه فى القصر الأمبراطورى بمدينة آخن Aachen بعد أن أجمع جميع الحضور عليه (٧).

أما اجتماع كوبلنز فلم يكن مقصوراً على الأمراء الألمان ففى الوقت الذى كان فيه منصب رئيس أساقفة ماينز Mainz شاغراً، قام الملك كونراد بتعيين ألبرت Albert رئيس الأساقفة، ومنصب رئيس كولونيا Cologne لم يكن أُنتخب. وحضرالأجتماع رئيس أساقفة مدينة تريير Trier(٨) ومعه المندوب البابوى الكاردينال ثيودين Theodewin .ولقد تكاتفوا لتأكيد انتخاب كونراد وأخذ المندوب البابوى على عاتقة الحصول على موافقة البابا والمدن الإيطالية. (٩)

وفى الحقيقة نجد عدة عوامل قد تضافرت معاً للتدخل فى اختيار كونراد واستبعاد هنرى، أولاً فالأمراء الألمان كان يميلون لعدم الأخذ بمبدأ الحكم الوراثى نظراً لرغبتهم فى أن تكون لهم اليد العليا فى ألمانيا، بالإضافة إلى تخوفهم من الدوق هنرى الذى اشتهر بشخصية قوية ذات التأثير الفعال فى ألمانيا، الأمر الذى بات يهددهم إذا ما تولى الحكم. (١٠)

ولقد كان للبابوية دور هام فى عدم ترجيح كفه هنرى، حيث رأت ميوله للاستبداد للحكم، والذى يمكن أن ينقص كل التنازلات التى حصلت عليها الكنيسة من قبل فى عهد لوثر. (١١) وبذلك اجتمع الأمراء الألمان وايضاً البابوية على أن يكون الملك الجديد ضعيفاً غير قادر على مواجهتهم لكى لايسلب المكاسب التى حققوها(١٢)

والجدير بالذكر أن الأمراء الألمان قرروا فى البداية عقد اجتماعهم فى مدينة ماينز Mainz إلا أنهم علموا أن هنرى والإمبراطورة ريتشنزا Richenza عملوا على جمع الساكسون، الأمر الذى جعلهم يسعون إلى عقد اجتماعهم مفاجأة فى مدينة كوبلنز Coblenz، لكى يكونوا أكثر أماناً بعيداً عن سيطرة هنرى المتكبر ونفوذه.(١٣)

أما عن عدم اختيارهم فريدريك دوق سوابيا وهو الأخ الأكبر لكونراد، وهو أن فريدريك لديه طموحات كبيرة بجانب قوة شخصيته، ولذلك وقع اختيارهم على كونراد، الأمر الذى دفع فريدريك لموافقته لكى لايخُرج التاج من الأسرة (١٤)

وبالنظر للاجتماع فى كوبلنز نجد أنه لم يكتمل من الناحية القانونية، حيث أن النظام الانتخابى كان يستلزم حضور جميع الزعماء الألمان وهذا لم يحدث حيث اقتصر الحضور على زعماء أقليمي سوابيا وفرانكوفونيا فى حين لم يحضر زعماء ساكسونيا وبافاريا ولقد عمد الأمراء على فعل ذلك لتخوفهم من أن يكون لهم تأثير ويتم انتخاب هنرى المتكبر بدلاً من كونراد (١٥)

وبذلك فقد بات الصراع وشيكاً بين الملك كونراد والدوق هنرى المتكبر، الأمر الذى دفع كونراد إلى عقد اجتماعاً فى بامبرج Bamberg وتوافد الأمراء الألمان ليقدموا الولاء للملك الجديد وحضر هذا الاجتماع عدد كبير من أمراء المملكة، كما حضرته الأمبراطورة السابقة ريتشنزا Richenza أرملة لوثر، بينما كان الدوق هنرى المتكبر كان غائباً عن الاجتماع، (١٦) وتم تحديد يوم أخر لإستعادة الشارات الملكية من الدوق هنرى فى ريجنسبرج Regensburg . وكمحاولة لعدم الصدام قام هنرى بتسليم الشارات الملكية للملك كونراد، ولكنه عرض عليه فى مقابل هذا أن يتم الاعتراف به دوقاً على كل من دوقيه بافاريا وسكسونيا، الا أن كونراد، كان متخوفاً من أن يكون هناك اثنيتان من الدوقيات متحدتين فى يد رجل واحد، ونجح كونراد على الرغم من ذلك من خلال الدبلوماسية الحصول على الشارات الملكية، وأعطى له فى المقابل وعود غامضة بأن سيلاقيه فى أوغسبورغ Augsbourg (١٧) لكي يتوصلوا إلى اتفاق. (١٨) وخوفاً من موقف هنرى المتكبر المهدد، غادر كونراد إلى فورتسبورج Würzburg كما فشلت محاولات التواصل إلى تسوية سلمية، وفى ١١ يوليو ١١٣٨م، هناك تم وضع هنرى المتكبر تحت الحظر وقام كونراد بتجريده من دوقيتيه. (١٩)

وهكذا تكرر من جديد ما حدث عام ١١٢٥م بعد وفاة هنرى الخامس، حيث نجد ان الأوضاع الانتخابية متشابهة حيث عمد الأمراء الألمان والبابوية باختيار الحاكم الأضعف وعملوا على الاسراع إجراء الانتخابات.

هكذا أكد الأمراء خلال أقل من خمسة عشر عاماً وعلى مرتيين متتاليتين حقهم فى انتخاب الملك، وتأكيد كون الملكية الألمانية انتخابية ولكنهم فى الوقت ذاته حكموا عليها بأن تظل ضعيفة، كما دفعوا بألمانيا إلى عداء إقطاعى مدمر بين الجباليين والولفيين. (٢٠)

يبدو أن الأمراء الألمان كان يخشون قوة هنرى المتكبر Henry The Proud. كما كانوا حريصون على تجنب تأسيس سلالة وإثبات حق انتخابهم من خلال تجاوز الرجل الذي حدده الإمبراطور لوثر قبل وفاته.

وبتولية كونراد Konrad حكم ألمانيا، فقد بات الصراع وشيكاً بين الملك كونراد Konrad والدوق هنرى المتكبر Henry The Proud، الأمر الذى دفع كونراد إلى عقد اجتماعاً آخر للحصول على تأييد عدد أكبر من الأمراء الألمان وخصوصاً بعد تغيب الكثير منهم فى اجتماع كوبلنز Coblenz. ففى ٢٢مايو عقد اجتماع فى بامبرغ Bamberg وتوافد الأمراء الألمان ليقدموا الولاء للملك الجديد وحضر هذا الاجتماع عدد كبير من أمراء المملكة، حيث حضر ليوبولد من النمسا Leopold of Austria وكونراد أوف زرينجن Conrad of Zeringen وسوبيسلاف دوق بوهيميا Sobislav Duke of Bohemia، كما حضرت الإمبراطورة السابقة ريتشنزا Richenza أرملة الإمبراطور لوثر Lothar، اما الدوق هنرى المتكبر فكان أيضاً متغيباً عن حضور الاجتماع(٢١)

ولكن كونراد أراد الاجتماع بالدوق هنرى المتكبر لكى يتسلم منه الشارات الملكية التى حصل عليها من الإمبراطور لوثر Lothar قبل وفاته، لذلك عقد كونراد اجتماعًا آخر فى راتسبون Ratisbonne (٢٢) لمقابلة الدوق هنرى المتكبر، وأثناء الاجتماع طالب كونراد هنرى بتسليمه الشارات الملكية، لكن هنرى رفض فى البداية تسليمه الشارات الملكية إلا بعد حصوله باعتراف من كونراد بإمتلاكه كل من دوقية ساكسونيا ودوقية بافاريا.

وهنا تكمن الصعوبة حيث اصبحت دوقيه ساكسونيا أول خطرا لكونراد إذ جاءت هذه الدوقية، التي اصبحت بدون حاكم منذ وفاة لوثر، إلى صهره وريثه، فكانت ملكية هنرى لها أكثر من خطر على كونراد ! لهذا السبب كان عليه أن يحرم هنري المتكبر من حكمه لدوقيه ساكسونيا، غير انه فى اجتماع بامبرغ

Bamberg الذى عقد فى ٢٢ مايو قد تنازل فيه كونراد عن تلك الدوقية إلى ألبرت الدب Albert The Bear. (٢٣) فكان على كونراد أن يتخلى عن ولاية ساكسونيا على أساس أنه ليس قانونياً لحاكم واحد يملك دوقيتين.

حاول كونراد من خلال الدبلوماسية استدراج هنرى المتكبر للحصول منه على الشارات الملكية وعندها طلب منه هنرى المتكبر الاعتراف منه بامتلاكه الدوقتين سكسونيا وبافاريا، لكن كونراد أقنعه بتسليمها وحصل منه على الشارات الملكية (٢٤) وماطل كونراد فى وعد هنرى بامتلاكه الدوقيتين، وبعد ذلك حاول اقناعه أنه ليس من المسموح مناقشة مثل هذا الأمر هنا فى ذلك الأجتماع، وأعطى له فى المقابل وعود غامضة بأن سيلاقيه فى أوغسبورغ Augsbourg لكى يتوصلوا إلى اتفاق (٢٥) ووعود بأنه سيقوم بالنظر فيه قانونياً إذا كان من القانونى امتلاك شخص واحد دوقيتين . وما إذا كانت الأبنه الكبرى مؤهلة لتورث دوقيه ابيها .فدافع هنرى عن موقفه قائلاً إنه من القانونى أن ترث الابنه دوقيتها من ابيها(٢٦).

ولكن لا يوجد ابنة ورثت دوقيه بعد وفاة ابيها من قبل . ولكن أين كان هذا القانون، فعندما مات الإمبراطور هنرى الخامس Henry V وكان قبل وفاته قد عهد ببعض ممتلكاته إلى أولاد أخته آجنس Agnes حيث لم يكن لهنرى الخامس أى أبناء يرثونه، ففى حياته وزع ممتلكاته على كلاً من فريدريك وأخيه كونراد وبتولى لوثر الحكم عقد مجلساً للنظر ان كانت هذه الملكية عامة أو إنها تضم للأراضى الإمبراطورية وهناك المحكمه أصدرت قرار بأن هذه الممتلكات تابعة للأراضى الأمبراطورية وعلى ذلك صادر لوثر ممتلكاتهم مع أنهم الورثة الشرعيين. وهنا تمسك لوثر بالقانون وقام بتطبيقة.

وهنا جاءت الفرصة لكونراد لتطبيق مثل هذا للقانون، وقررت المحكمة أن حجج هنرى لم تكن لها أساس من الصحة ولم تكن ذات أهمية، وأن اتحاد دوقيتيين

قومييتين أمر غير قانونى، وإنه فى هذه الحالة تقتصر الوراثة على الذكور ورفض المجلس هذا الإدعاء، وحكم لكونراد (٢٧) ولكن لأن أنصار هنرى كانوا كثيرين فى تلك المنطقة وكانوا مسلحين، فقد اعتبر كونراد إنه من الحكمة الانسحاب بسلاسة وهدوء دون الإعلان على قرار المحكمة ورحل من اوغسبورغ Augsbourg إلى فورتسبورغ Würzburg، حيث تحجج بمتابعة المحكمة هناك . (٢٨)

وفى فورتسبورغ أعاد كونراد ترتيباته الأمنية وأعاد نشر قواته وتم استدعاء هنرى المتكبر دوق بافاريا، من أجل تنازله وتسليمه لدوقية ساكسونيا (٢٩).

ولكن هنرى رفض قرار المحكمة وفى ١١ يوليو ١١٣٨م، والنتيجة تم وضع هنرى المتكبر تحت الحظر (٣٠) وقام كونراد بتجريده من دوقيتيه، حيث منح دوقيه ساكسونيا إلى الدوق البرت الدب Albert The Bear (٣١) فى حين منح دوقية بافاريا لأخيه الغير شقيق (٣٢) ليوبولد أوف إستريا Leapold Of Austria (٣٣).

الأمر الذى أدى إلى إشعال نيران الحرب الأهلية وأعُيد الخلاف القديم بين الولفيين Welf وهوهنشتاوفن Hohenstaufn، وبفضل قوة الإمبراطورة ريتشنزا Richenza ووقوفها لمساندة صهرها هنرى Henry فى قضيته، حصل على تأييد العديد من الأمراء الساكسون، الذين نظروا إلى البرت الدب Albert The Bear باعتباره مغرورًا و روفضوا حكمه واستعدوا لمحاربته. (٣٤) الأمر الذى جعل ألبرت Albert يسرع فى الاستعداد للهجوم عليهم، وفور انتهائه من استعداداته الحربية هاجمهم واستطاع هزيمتهم بقوة واستولى على أملاك ولف Welf فى لونيبرج LÜneburg وباردويك Bardowiek، كما استطاع القضاء على المعارضة فى ولاية ساكسونيا و أخذ يفرض قبضته كلها على دوقيته (٣٥) ولكن هنرى عاد واستطاع أن يسقط مدينة تلو الأخرى. (٣٦)

وقد أوهم ألبرت نفسه بالتفكير فى مقاومة الساكسونيين ولكن هذة المرة بمساعدة أكبر داعميه وهم برنارد بلوتزكى Bernard Of PlÖtzke Rusteburg فى إيسشفيلد Eishsfeld وفى شهر يوليو أعاد ألبرت بناء قوته فى هيرشفيلد Hersfeld لمحاربه دوقية ساكسونيا وكان معه رؤساء أساقفة ماينز Mainz وترير Trier وأساقفة وورمز Worms و شبابر Speyer ودوق بوهيميا سويسلاف والدوق الجديد لدوقية بافاريا ليوبولد ولويس تورينجيا Thuringia وهيرمان وينزبيرج Herman Of Winzenburg وظهروا جميعهم مع قواتهم. (٣٧)

لأن ألبرت كان فى حاجة لجيش قوى لمحاربة هنرى المتكبر والتى تقف وراءه دوقية ساكسونيا وهى الدوقية التى أوضح لنا تاريخها مدى قوتها وكيف كانت صامدة فى محنتها فى النضال عبر السنيين. (٣٨)

وقد واجه الجيشان بعضهما البعض بكروزبيرج Kreuzburg فى تورينجيا Thuringia وعندما اشتد القتال طالب مجلس الحرب بدخول وسيط لإنهاء هذا النزاع بالطريقة السلمية وتسوية الخلافات فيما بينهم وعلى أثر ذلك تم تحديد يوم لحل هذه الأزمة و إنهاء الخلاف وفى ورمز Worms بكاندلماس Candlemas، وقد عهد إلى رئيس أساقفة ترير مهمة الوصول إلى تسوية بين القوات المعادية.

وكان على أسقف ترير أن يفكر فى جلب كميات كبيرة من النبيذ والطعام لآلاف الجنود الجائعين، وبحياد وزع على كلا الجيشين وشرب كلاهما حتى وقعوا بالأرض غير مدركين وخصوصاً الساكسون. وكان المؤتمر مجرد مهزلة ولم يتوصل أى منهم إلى حلول، فقد وضع الطرفين ما أتوا من أجله جانباً واستسلموا للتسلية والاحتفال الذى كان منمق كثيراً حتى الطعام. (٣٩)

ويبدو أن رئيس أساقفة ترير Trier أدلبيرون كان هو المستفيد من عدم خروج المؤتمر بنتيجة نهائية لحسم الخلاف بينهم فقد حملهم معه إلى المؤتمر وأكرمهم

وجعلهم ينسون ما جاءوا من أجله، ففى المقابل حصل على كنيسة (سانت ماكسمين) St Maximin فى ترير Trier كمكافئة له والتى تعد من أغنى الإبرشيات ولكنه لم يستطيع الاستفادة منها فقد جلبت له العداوة مع الرهبان والمدافعيين عنها والتى بعد صراع طويل تم إغلاقها، وكان من الغريب أن تتم تلك المفاوضات فى ذلك اليوم مع نبلاء ساكسونيا فقط وبعدم حضور هنرى المتكبر.(٤٠)

وعلى أيه حال فقد ظل الوضع كما هو، فقد ظل هنرى سيد ساكسونيا وأصبح ألبرت يمتلك فقط لقب الدوق ولكن لم يمتلك دوقيه،كما هجره الأمراء الساكسونيون الذين انضموا إليه مؤخراً (٤١) أما فى بافاريا لم يكن شقيق الملك كونراد الغير شقيق دوق بانبرغ ليوبولد الرابع سعيداً بموقفه، حيث كان ويلف السادس الذى تدعمه ممتلكاته الغنية فى منطقة الحدود البافارية يضايقه باستمرار، ولكن بمساعدة أخيه أوتو أسقف فريزنج Otto Of Freising ، استطاع أن يحكم قبضته على الدوقيه إلى حد ما. (٤٢)

وباستعاده هنرى ساكسونيا قام بتأمينها، كما أصبح جاهزاً لاسترداد دوقية بافاريا، حيث استعد واحتشد جيشه فى كويديلنبيرج Quedlinburg وخلال الاستعدادات فجأة سقط هنرى مريضاً ومات فى الحال وارتفعت الشكوك فى ذلك الوقت سواء حقيقية أم لا، أنه مات مسموماً، توفى هنرى المتكبر فى ٢٠أكتوبر عام ١١٣٩م عن عمر يناهز ٣٥عاماً (٤٣) ودفن فى نفس الدير الذى دفن فيه الأمبراطور لوثر.(٤٤)

أى بعد عام واحد من تولية الملك كونراد الحكم، واعتقد كونراد أنه أرتاح بموته إلا أن الحرب استمرت وبشكل قوى فى ساكسونيا وبافاريا، حيث اصطدم بعناد أهل ساكسونيا الذين ناصروا أسرة هنرى وساندوا ابنه هنرى الأسد Henry the Lion's الذى كان فى العاشرة من عمره ونصبوه دوقاً على ساكسونيا وتولت

جدته ريتشنزا وابنتها جيرترود أرملة الدوق هنرى أمر وصايته وقاموا بحمايته ومناصرته. (٤٥)

وقد كانت هناك محاولات من جانب ألبرت الدب، الذى سارع للاستفادة من موت الدوق هنرى لإعادة دوقية ساكسونيا ولكنها كانت محاولات فاشلة تماماً ومن تلك المحاولات أن ظهر بشكل مفاجئ يوم القداس فى (بريمين) Bremen حيث أعاد مطالبتة بسكسونيا إلا أن الأمراء والشعب استقبلوه بعدوانية وهاجموه وبالكاد نجأ منهم بأعجوبة بعد محاصرتهم له. (٤٦)

أما هنرى الاسد فقد استطاع رئيس أساقفة ماجدبورج Magdeburg ترسيخ ولاء الأمراء الساكسونيين للدوق الصغير (٤٧) والذى بلغ بهم الأمر إلى حد شن هجوم و قيامهم بغارات سلب ونهب فى البلاد الخاضعة لألبرت والاستيلاء على العديد من قلاعه وأشعلوا فى بعض منها النيران (٤٨) وبذلك زاد دعم أهل ساكسونيا فى دفاعهم عن هنرى الأسد لصغر سنه،كما كانوا يساعدون الأرملتين: ريتشزا وجيرترود.

وقدحاول كونراد وضع حد لهذا الصراع ولكن بدون فائدة حيث قام باستدعاء الأمراء الساكسون لحضور اجتماع فى شهر فبراير فى مدينة ورمز ولكنهم رفضوا الحضور، وأعاد أيضًا دعوتهم مرة أخرى فى إبريل ١١٤٠م فى فرانكفورت وحضروا الاجتماع هذة المرة لكن القرارات أو المقترحات التى أصدرها كونراد لم تعمل على تهدئه الأوضاع ولم تحسم النزاع، فقد طالبهم بالاستسلام التام ورفض الساكسونيون المفاوضات واستمرت الحروب (٤٩)

اما ألبرت عاد مرة أخرى ليطلب مساعدة الملك كونراد، لاستعادة الدوقية لكن كونراد فى ذلك الوقت قد وجه اهتمامه إلى التمرد الذي حدث ضده فى الجنوب والذى أصبح يمثل خطورة كبيرة عليه وتهديداً له، ولم يهتم بمطلب ألبرت (٥٠).

وفى صيف عام ١١٤٠م قام ولف السادس عم هنرى الأسد بالمطالبة بحصته فى الميراث وهى دوقية بافاريا كما استطاع الهجوم على ليوبولد والذى كان فى ذلك الوقت يحاصر قلعه على وادى مانجفول Mangfall وألحق به الهزيمة ويبدوا أن هذه الهزيمة أضعفت سلطته على الدوقية (٥١) الأمر الذى استدعى كونراد إلى إرسال قواته إلى بافاريا لكى لا يفلت زمام الأمور من يده وكانت هذة القوات بقيادة ابن أخيه فريدريك أوف سوابيا،حيث أعد فريدريك جيش لغزو إقليم بافاريا، الأمر الذى دفع البافاريين وخاصة النبلاء إلى تحصين أنفسهم، واعدوا أنفسهم لمجابهته واحتموا وراء أسوار المدينة، وعندما وصل فريدريك وجدهم مدججين بالسلاح مستعدين لملاقاته، وبالرغم من ذلك فقد استطاع استدراجهم خارج الأسوار واشتد القتال بينهما (٥٢) .

ولكن البافاريين فى نهاية الأمر اضطروا إلى التراجع داخل المدينة وتحصنوا بقلعتها والتى تعرف وينيسبرج Weinsberg واستمر الحصار لفترة ولكن لم يستطيعوا الصمود طويلاً، وقد أغضب كونراد المقاومة الباسلة من رجال قلعة وينسبرج فأقسم بقتل جميع الرجال حال الاستسلام وعندما فشلوا فى الصمود أمام هذا الحصار أرسل أهالى وينسبرج رسلاً للتفاوض مع الملك بألاستسلام وطالبوا العفو عنهم وأن تتحرر النساء وبالفعل وافق كونراد وسمح لهن بمغادرة القلعة بسلام كما سمح لهن بحمل ما يمكنهمن من أغراضهم على ظهورهن، وقد استسلمت فى ديسمبر ١١٤٠م (٥٣).

وفى صباح اليوم التالى فتحت البوابات وكانت هناك سلسلة طويلة من النساء يخرجن ببطء وقد انحنت ظهورهن من الأوزان، فقد اعتقد البعض أن هؤلاء النساء قد استفادوا من وعد الملك، وقد تعثر الموكب أثناء السير بسبب البطئ وعندما أقتربن، رأى الجيش فى ذهول أن ما حملته النساء لم يكن أغراض ثمينة، حيث أن كانت كل سيدة قد حملت على ظهرها زوجها أو ابنها أو والدها أو

شقيقها . وتعالت صيحات الغضب فى معسكر الملك وهتفوا أنهم تعرضوا للخيانة، فقرروا قتلهن لكن كونراد أصر بأن كلمته يجب ألا تعصى (٥٤).

أما ولف Welf على الرغم من هزيمته فى وينسبرج، إلا أنه نقل التمرد الى الجنوب وعانى خلال تلك الفترة من ضربه قاسية وهي وفاة الإمبراطورة ريتشنزا فى ١٠ يونيو ١١٤١م وبذلك تخلص كونراد من أكثر أعدائه تعنتاً أما عن ابنتها جيرترود التى شاركت معها فى الوصاية على هنرى الأسد فلم تكن مؤهلة بأى شكل من الأشكال على الاستمرار فى الصراع، وبالتالى تضأل عدد أنصارها (٥٥).

الأن وبوفاة ريتشنزا أصبح الملك كونراد يشعر بحرية أكثر، واقنع مستشاريه بضروره تغيير خططه السياسية فى نقاط معينة من أجل توطيد حكمه، والقيام بالتغيير الداخلى فى الإمبراطورية.

وفى دوقيه بافاريا، وبعد أن تلقى ليوبولد أوف إستريا Leapold Of Austria هذه الدوقية من الملك كونراد انضم إليه جميع الأمراء تقريبا ربما بدافع حبهم وعدالته أو بدافع الخوف، أراد ليوبولد فرض قبضته على بافاريا فجمع قوة كبيرة من الجنود، وسار بها في جميع أنحاء بافاريا وعلى حدودها، وبالقرب من نهر ليخ Lech، مقابل مدينة ليخ أوجسبورج Regensburg زاول مهامه القضائية هناك لمدة ثلاثة أيام، حيث أثبت أنه قاضٍ صارم.

وبعد فترة وجيزة بينما كان الدوق ليوبولد أوف إستريا Leapold Of Austria يقيم العدالة في مدينة ريجنسبورج، اندلعت انتفاضة بقيادة أوتو Otto count palatine حيث استطاع حشد الكثير من أتباعه، الأمر الذى جعل الدوق ليوبولد يحمل السلاح لمواجهته، لكن هرب أوتو من الخطر بإشعال النار في العديد من أحياء المدينة،حيث تخلى جزء من أتباعه عنه بسبب خوفهم من الحريق، والجزء الأخر بسبب خوفهم من النزاع المسلح، ثم غادر الدوق المدينة

ومنها خارج البلد بعد ذلك ،حيث انسحب لفترة من الوقت ؛ لكن بعد أن جمع جيشًا، نصب معسكرًا بعيدًا عن المدينة، وانتشر الدمار في جميع أنحاء البلاد المحيطة، ولم يمض وقت طويل بعد ذلك، مرض ليوبولد وتوفي في شهر ١٨أكتوبر عام ١١٤١م فى ريجنسبورج Regensburg. وتم دفنه في دير الصليب المقدس، الذي أسسه والده (٥٦) وتولى مقاطعة النمسا بدلاً عنه أخوة هنرى جسميرجوت Henry Jasmirgoit ولكنه أبقى دوقيه بافاريا وانتظر الأمر الحاسم فى امتلاكها(٥٧).

وفى مايو عام ١١٤٢م عقد مؤتمر فى فرانكفورت لوضع التسوية النهائية ومحاولة من كونراد لإعادة الهدوء فى المملكة بعد سنوات من الحروب الأهلية فى البلاد حيث أعطى دوقية بافاريا إلى هنرى جسميرجوت ولكن عن طريق الزواج من جيرترود والدة هنرى الأسد وبذلك هدأت الأوضاع وأقيمت الاحتفالات فى فرانكفورت وبذلك تم إحلال السلام فى الإمبراطورية (٥٨).

ولكن رفض ولف ضياع دوقية عائلته بافاريا، فسرعان ما أعاد النضال ضد كونراد والدوق الجديد، حيث قام بتكوين جيشاً وهاجم الحدود،ونهب العديد من الكنائس ودمر التحصينات،وساعده فى ذلك أتباعه البافاريون، حيث انضم إليه الكثير من المؤيدين هذه المرة مع ولف، كما حاول مقابلتهم لكنه تراجع عندما علم بأن الملك كونراد يتبعه . وقام الدوق هنرى جسميرجوت بمساعدة الملك كونراد الثالث بإكمال أعمال الحصار فى القلعة التى كانت تقف بجانب الدوق ولف حيث قاموا بتدمير كل ما حولها وقام بتدميرها وإشعال النيران بها بمساعدة الملك كونراد(٥٩).

اما ألبرت الدب فقد تخلى عن لقب دوق ساكسونيا وأعادها كونراد إلى هنرى الأسد، أما ألبرت الدب تمت إعادته لحكم الأجزاء الشمالية (٦٠).

وقد أعطى أوتو أوف فريزنج تفسيراً حقيقياً لنتائج لتلك الأوضاع ويقول " لقد كان ذلك بذرة أعظم خلاف على أرضنا " فلقد فشل كونراد فى إرضاء أى من الأطراف المعنية، حيث رفض ولف ضياع دوقية عائلته بافاريا ولعدم مبالاة هنرى الأسد وسرعان ما أعاد النضال ضد الملك كونراد والدوق الجديد،كما أن فريدريك دوق سوابيا ابن أخ الملك كونراد غير راض عن ضم الدوقية لصالح هنرى جسميرجوت حيث انضم الكثير من المؤيدين هذه المرة مع ولف واكتسب هذه المرة حلفاء أقوياء ومنهم الملك روجر الثاني ملك صقلية والذى يعتبر أخطر أعداء كونراد [٦١] علاوة على ذلك فإن هنرى الأسد عندما يبلغ مرحلة الشباب أو المرحلة التى سيستطيع فيها إدارة شئونه الخاصة هل سيكون راضياً عن فقد جزء من ممتلكات والده المخصصة له، وهنا تلقى كونراد ضربة قاتلة عندما علم بوفاة جيرترود فى إبريل ١١٤٣م[٦٢].

ولقد تلى استقرار الأوضاع فى ألمانيا أن زاد من نفوذ الدوق كونراد بن برثهولد الذى قد استفاد من موت الإمبراطورة ريتشنزا وغزا سوابيا، فى ذلك الوقت أراد فريدريك دوق سوابيا الثأر لأبيه واسترجاع ممتلكاته من كونراد بن برثهولد Conrad Son Berthold [٦٣]، رغم صغر سنه إلا أن الملك كونراد الثالث عهد إليه بقوات أبيه ليقودها ليثأر لملك أبيه واستطاع ذلك الصبى الصغير تحقيق انتصارات عسكرية زادت من شهرته فاستولى على مدينة زيورخ Zurich فى إقليم سوابيا وأقام بها حصناً وسرعان ما انضم إليه عدد كبير من نبلاء بافاريا، الأمر الذى منحه قوة أكثر مما كان عليها فتقدم إلى أقصى حدود دوقيته سوابيا حتى وصل إلى حصن زارينجين Zohringen الذى يمتلكه الدوق كونراد وبالرغم من مناعة هذا الحصن فقد نجح الدوق فريدريك فى الاستيلاء عليه دون مقاومة كما خضعت له العديد من القلاع [٦٤].

بسالة فالأب والابن لم يقوما بطرد الغزاة فحسب، بلى احتلا الجزء الأكبر من ممتلكات دوق زارينجن فى سوابيا وبورجنديا، وهذه الأنتصارات التى تحققت فى الفترة الأخيرة، أجبرت المتمردين على طلب السلام من الملك كونراد الثالث (٦٥).

وبالإضافة إلى بؤس الحرب والدمار الذي عانت منه البلاد، اندلعت مجاعة لم يسمع بها أحد من قبل وانتشرت فى كل أنحاء ألمانيا لهذا العام ١١٤٦م وبسبب المصائب ارتفعت الأسعار بطريقة غير مسبوقة، واستسلم الكثير للموت من الجوع لكن المشاكل حلت بألمانيا فقدت أهميتها عندما وصلت أخبار من الشرق إلى أروبا بسقوط إحدى الإمارات الصليبية فى الشرق (٦٦).

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافيا، ج٣، ٢٠٠٥
- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا فى العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٦م
- عبد القادر أحمد اليوسف، العصورالوسطى الأوربية ٤٧٦-١٥٠٠م، ط،١، بيروت،٢٠١٤م
- رأفت عبد الحميد، الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى، بحث منشور بندوة التاريخ الاسلامى، قسم التاريخ –كلية الآداب، جامعة عين شمس، مجلد ٢، ١٩٨٣.

المراجع الأجنبية:

- Brook.Z.N; A History of Europe from 911 to 1198 (London, 1947)
- Edward S.Ellis; History of the Germany People, Vol.2, 1961
- EX Chronico S.Jacbi Leadiensi, auctare Lanberto Parvo Ejusdem Loci Monoche: In R.H.G.F, Paris, 1869,
- Fletcher.C.R.L; the Making of Western Europe, (London, 1914)
- Handerson (Ernest.F); A History of Germany the middle Ages, (New York, 1894)
- Johnson,M.A;Six Ages Of European History, From A.D476 to 1878
- Kinnamos (John); Deeds Of John and Manuel Comnmenus, Trans, (by): Charles (M.Brand) (New York, 1976.(
- Lane Pool; Germany 1125-1152, In, C, M.H, Vol.V, (New York, 1926)
- Otto of Freising; the Deeds of Frederick Barbarossa, Trans (by): Charles (Christopher. Mierow) (New York, 1953).
- Otto of Freising; the Two Cities, Trans (by): Charles (Christopher. Mierow) (Columbia, 2002).
- Sidny Painter: A History of Middle Ages (284-1500)
- Tout.T.F; the Empire and the Papacy 918-1273, (London, 1903)
- Webester New Geogrephical Dictionary
- William Busk; Medieval Popes, Emperors, Kings, Crusaders, OR Germany, Italy and Palestine from AD1125-to AD 1268, London
- Zeller Jules; L Empire Germanique Sous Les Hohenstauffen, (Paris,1890)

حواشي البحث:

(١) عندما كان لوثر عائداً من إيطاليا ، أصيب بمرض فى ترينت Trent وهناك توفى فى كوخ صغير بين الجبال ، وقد وتوفى فى السنه الثالثة عشر من حكمه ، ركاً وراءه الكثير من الممتلكات ، وتم نقل جثمانه عبر أوغسبورغ Augsburg وفرانكونيا الشرقية إلى ساكسونيا ، إلى دير كونيجسلوتر Königslutter ، الذى كان قد بناه ودفن فيه. انظر:

Otto of Freising; the Two Cities, Trans: Mierow.C.C, Columbia, 2000, P.428. Henderson.E.F; A History of Germany the Middle Ages, New York, 1894, P.235

(٢) رأفت عبد الحميد ، الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى ، بحث منشور بندوة التاريخ الأسلامى ، قسم التاريخ –كلية الأداب ، جامعة عين شمس ، مجلد ٢، ١٩٨٣، ص ٢١٩.

(3)Brook.Z.N, A History Of Europe From 911 To 1198,London ,1947,p.278.

(4) ولف السادس Welf زوجة هى عمه لهنرى الأسد ، كما أن اخته : يعد أخ للدوق هنرى المتكبر و لتالى فهو عماً لهنرى الأسد ، وأماً للدق فريدريك المعروف بفريدريك ر روسا .أنظر: الدوق فريدريك أو سوابيا

Otto of Freising; the Deeds of Frederick Barbarossa, Trans (by): Mierow.C.C, New York, 1953, P.43, P.279n168. Brook Z.N; Op, Cit, p.279. .

(5) Otto of Freising; the Two Cities, p.432.

Edward S.E.A.M: History of the German PeopleVol 2, 1916, P.292.

(٦) رأفت عبد الحميد ، الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى ، ص ٢٢١.

(7) Otto of Freising; The Deeds, p.53 .

EX Chronico S.Jacbi Leadiensi, auctare Lanberto Parvo Ejusdem Loci Monoche: In R.H.G.F, Paris, 1869, Vol XIII, P.601 Edward S.E.A.M: Op Cit, p.293.

(٨) ترير Trier: مدينة تقع فى غرب ألمانيا ، شهيرة بكاتدرائيها. انظر مسعود خوند، الموسوعة التاريخيةالجغرافيا، ص ١٠٦.

(9) Otto; Two Citties, p.431. Brook.Z.N; a History of Europe, p. 278.

(10) Otto, Two Citties, p.430.

Lane Pool; Germany 1125-1152, In, C, M.H, Vol.V, New York, 1926, P.346.

(11) Brook.Z.N, A History of Europe, p.278. Edward; Op, Cit, P.293.

(12) Sidney Painter; A History OF THE MIDDLE AGES284-1500, p.276.

(13) Otto Of Freising: Two Cittis, p.430. □

Edward S.Ellis; History of the Germany People, Vol.2, 1961, P.292.

(١٤) Kinnamos (John); Deeds Of John and Manuel Comnmenus, Trans, (by): Charles. M, New York, 1976P.73

(15) Otto; Two Cities, P.431.

Tout.T.F; the Empire and the Papacy 918-1273, London, 1903, p.231.

(16) . Otto; Two Citties, P.431.

(١٧) أوغسبورغ Augsbourg: مدينة فى جنوبى ألمانيا (بمقاطعة فار) تم سيسها فى القرن ١٥ق.م على يد الرومان. ودمرها الهون فى القرن الخامس ، وتشتهر هذة المدينة بكاتدرائيتها القوطية . انظر :مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافيا ، ج٣،ص٩٦.

([18]) Lane Pool; Op, Cit, p.346. Brook. Z.N; A History of Europe, P.279. Johnson,M.A,Six Ages Of European History, From A.D476 to 1878,Vol II,P.126

([19]) . LanePool; Op, Cit, p.346. Otto; Two Cities, p.432.

([٢٠])منذ وفاة هنرى الخامس ١١٢٥م نشبت الحروب الاهلية على أثر أنتخاب لوثر الثانى دوق ساكسونيا ١١٢٥-١١٣٧م وأستمرت طيلة حكم الملك كونراد الثالث الذى يمثل أول ملك من العائلة الألمانية هوهنشتاوفن ، إذا أنقسم الألمان إلى فريقين ، عرف الفريق الأول سم ولفيين نسبة إلى الدوق ولف Welf والفريق الثانى تزعمته جيبيالين Ghibelline وهم ينسبون لإحدى القرى من إقليم سوابيا ولقد عرفت هذة القرية سم وبلنجين Waiblingen وقد تطور اللفظ الأول فى الصيغة الايطالية إلى الجلفيين Geulfs وقد ساهمت البابوية بشكل فعال فى ذالك الصراع اذا أيدت الولفيين ،كرهاً بورثة هنرى الخامس ، وقد بقيت ها ن التسميتان طيلة العصور الوسطى والحديثة أيضا لنسبة لاعداء البابوية .انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، أور فى العصور الوسطى ، بيروت، ١٩٧٦م ، ص ٢٢٨ عبد القادر أحمد اليوسف ، العصورالوسطى الأوربية ٤٧٦-١٥٠٠م، ط١، بيروت ،٢٠١٤م، ص ١٥٧. Freeman .Edwward; History of Europe, Toronto, 1877, P.75

([21]) Otto; Two Cities, P.433.

Zeller Jules; L Empire Germanique Sous Les Hohenstauffen, Paris, 1890, p.71.

([٢٢]) راتسبون هو الاسم القديم لمدينة ريجنسبورغ Regensburg وهى مدينه تقع غرب ألمانيا على نهر الدانوب شمال شرق مدينة ميونخ ، شيدها الرومان عام ١٧٩م. انظر : Webeser New Geogrephical Dictaionary, p.1009

.

([23]) Lane pool; Germany (1125-1152), p.346. Otto ;Two Cities,P.431

([24]) Zeller Jules; Op, Cit, p. 71. Otto Of Frising ;Two Cities,P.431

([25]) Johnson.M; Op, Cit, p.126. Brook, Z.N: A History of Europe, P.279

([26])William Busk; Medieval Popes, Emperors, Kings, Crusaders, Or Germany, Italy and Palestine from AD1125-to AD 1268, London, 1854.P.221.

([27]) William Busk; Op, Cit, P. 221. Otto ;Two Cities,P.432

([28]) Otto; Two Cities, P.432. Zeller Jules; Op, Cit, p.72

([29]) William Busk; Op, Cit, p.221.

([30]) Zeller Jules; L empire Germanique, p. 72.

([٣١]) ألبرت الدب Albert the Bear: هو ابن عم هنرى المتكبر ، ولقد حكم الأجزاء الشرقية لدوقية ساكسونيا حتى عام ١١٣١، وبعد ذلك تولى الأجزاء الشمالية .انظر. Otto of Freising; The Deeds, p.52n94

([32]) Otto; Two Cities, P.433. Brook.Z.N: A History of Europe, P.279 رأفت عبد الحميد ، الفكر السياسى الأوربى فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٢١.

([33]) ليوبولد أوف إستر : يعد الأخ الغير شقيق للملك كونراد الثالث ولقد تولى مراجرافيه إستر حتى عينه كونراد دوقاً لبافار Otto of Freising ,The Deeds,p.76n131 وظل يحكمها حتى توفى فى عام ١١٤١م. انظر : .

([34]) William Busk; Op, Cit, p.223. Otto Of Frising;Two Cities, P.434

([35]) Otto; Two Cities, P.434. Lane Pool; Germany (1125-1152), p.347. Henderson.E.F; A History of Germany the Middle Ages, P.347.

([36]) Lane Poal; Op, Cit, P.347. Edward S.Ellis, german People, p. 296

(37) . Lane Poal; Op, Cit, p. 347. Zeller Jules; Op, Cit, p.75
(38) . William Busk; Op, Cit, p. 224
(39) . Lane Poal; Op, Cit, p.347. William Busk; Op, Cit, p.224
(40). Henderson.E.F; Op, Cit, p. 238. Zeller Jules; Op, Cit, p. 76
(41) Lane Pool; Germany (1125-1152), P.347.
(42) Lane Poal; Op, Cit, p.347. Henderson.E.F; Op, Cit, p.238
(43) . Johson, M, A; Op, Cit, p.126. Otto, Two Cities, P.434
Fletcher.C.R.L; the Making of Western Europe, London, 1914, p. 145.
(44) Otto of Frising; Two Cities, P.434. . Edward .Ellis; Op, Cit, p. 297
(45) Otto of Frising; Two Cities, P.434. Zeller Jules, Op, Cit, p. 76.
(46) Lane Poal; Op, Cit, P. 348. William Busk; Op, Cit, p.225.
(47) Fletcher.C.R.L; Op, Cit, p. 145. Otto of Frising; Two Cities, P.434.
(48) Brook.Z.n; A History of Europe .p. 279. Lane Poal; Op, Cit, p. 348.
(49) Lane Pool; Germany (1125-1152): p 348. Henderson.E.F; Op, Cit, p.238.
(50) Lane Poal; Op, Cit, p. 348.
(51) Otto of Freising; Two Cities, P.434. Fletcher.C.R.L; Op, Cit, p.145.
(52) Otto of Freising; The Deed, pp.59- 60..
(53) Zeller Julesr; L, empire Germanique, p.78. Otto, Two Cities, P.434.
(54) . Henderson.E.F; Op, Cit, pp.238-239. Otto; Two Cities,p P.434
(55) Otto; Two Cities, P.434. Brook.Z.N; a History of Europe, P.279.
(56) Otto; Two Cities, P.435.
(57) Otto; Two Cities, P.435. Wiliam Busk; Op, Cit, p.229.
(58) Zeller Jules; L, empire Germanique, p.79. Otto; Two Cities, P.436.
(59) Otto; Two Cities, P.436.
(60) Edward .Ellis; Op, Cit, p. 299. Johson, M, A; Op, Cit, p.126.
(61) Lane Poal; Op, Cit, p.350. Otto of Freising; Two Cities, P.436.
(62) Edward .Ellis; Op, Cit, p.299. Brook.Z. n; A History of Europe, p.280
(٦٣) كونراد بن برثهولد Conrad Son Berthold: هو الابن الثانى للدوق برثهولد ، وكان والده من أشد أنصار رودلف الملك الشرعى فى عهد هنرى الرابع ولقد إنفرد كونراد بحكم الأراضى التابعة لحصن زارينجتين بعد موت أخيه برثهولد .انظر: Otto of Freising; The Deeds p.109.
(64) Otto of Freising; the Deed, p. 60. Edward .Ellis; Op, Cit, p.299.
(65) William Busk; Op, Cit, p.223.
(66) Lane Poal; Op, Cit, pp.352-353.